# صناعة الإبداع في قوة الشباب

فوزي بن يونس بن حديد

كنتُ يوما بجامعة نزوى مشاركا في ندوة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، لفت نظري اليوم المفتوح الذي أقامته كلية الهندسة بالجامعة، كان رائعا ومتألقا من حيث العرض والشرح، شباب ذكورا وإناثا لهم آراؤهم وابتكاراتهم التي أتوا بها للجامعة ليعلنوا أنهم على الطريق الصحيح بعد أن منّت عليهم الدولة بالتعليم والتأهيل والتدريب، جاؤوا اليوم ليقدموا خلاصة ما تعلموا وزبدة ما تدرّبوا، كانت جولتي بين صفوف الشباب رائعة وأنا ألاحظ الابتسامة تعلو وجوههم والأمل يحدوهم في أن يحصلوا على رضا الزائرين وربما يصادفهم رجل أعمال يدعم هذه المشاريع أو أحدها، كانت قلوبهم ترفرف لأن ترى هذه المشاريع النور بعد العرض المثير الذي يقدمه كل واحد منهم.

حرصت على أن أقترب منهم أكثر وأكتشف فيما يفكرون، وجدتهم شبابا نابغين عارفين بمهمتهم في المعرض، عالمين بأسرار وتفاصيل مشاريعهم أسمعهم وهم يتحدثون أنهم رواد صغار يتمنون تحقيق أحلامهم التي تكبر معهم وتنمو كما تنمو أجسادهم وعقولهم، أعجبني هدوؤهم وشرحهم واهتمامهم بمن يأتي إليهم سائلا عن مشاريعهم أيا كان وجه الزائر، نموذج رائع وشعلة من النشاط الوقاد ومستقبل باهر لهؤلاء الشباب المبدعين وهنيئا لهذه المسيرة التعليمية التي تتألق يوما بعد يوم وتفرز شبابا يحملون رؤى ومفاهيم جديدة للحياة عبر التعليم والتعلم والتأهيل والتدريب.

فالحديث عن الشباب ليس حديثا عاديا لأنه يتصل بفئة مهمة من المجتمع لها دور أساسي في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسلوكية، فهي فئة كثيرا ما يعتمد عليها المجتمع في إحداث ثورة فكرية وقوّة اقتصادية وحضارة اجتماعية تنبع من فكر الشباب أنفسهم. وبما أن الشباب يمثل قوة قاهرة وفتوّة باهرة وحماسا واندفاعا وهي صفات ضرورية وبدهية في كل الشباب، فهم القوة النافذة في المجتمع، وهم عماد الأمة وأساسها، لا تبنى الدول إلا على سواعدهم وعقولهم، هم الرئة التي تتنفس منها السياسة والاقتصاد والاجتماع وكل مجالات الحياة، فكلما اعتنينا بهذه الفئة فكرا وتربية وسلوكا كان ذلك أدعى لإنشاء جيل مفكر عبقري صالح ينفع مجتمعه، وإذا اعتنينا به صحةً ورعايةً وبناء أسريا متماسكا جاءت النتائج مبشّرة في ظل التموجات الفكرية والمقومات الأصولية والثورات التكنولوجية، فالشباب اليوم يحتاج إلى رعاية، ورعايتنا إنما تكون في توجيههم وتعليمهم وتأهيلهم وتدريبهم ومن ثم نرى ثمرات ذلك تباعا عندما يبدعون.

هؤلاء الشباب وغيرهم ممن يبدعون في مجالات الحياة الكثيرة والمتنوعة، مجالات واسعة تشمل كل ما يتصل بالثقافة من قريب أو بعيد، في الأدب والرسم والفلك والطب والهندسة والشرع، كل ذلك يصبّ في مصب الثقافة النوعية التي أصبح الشباب يمتلكها ويأخذ بناصيتها، بل ويبدع في مجاله الذي استهواه وطاب له أن يعمل فيه عقله، وهاهو اليوم يجني ما حصد من خلال مسيرة امتدت أعواما عبر فصول من الابتدائية إلى الإعدادية إلى الثانوية إلى الجامعة، إلى الإبداع والتشكيل، إلى القمة في الترويج، إلى التخصص في الميدان، إلى الريادة والقيادة في المجال، إلى الفوز بالأعمال، إلى العالمية في الكفاح، ذلك هو مبهج الشباب حين يتألقون في مجالات الحياة.

وكم نفرح حين نرى نماذج متألقة تحتفي بهم الدولة والعالم كله، وكم يكون الفرح أجمل عندما يفهم الشباب أن ما يقومون به من أعمال مبدعة أيا كان مجالها فخر للبلاد وعزّ لها، لذلك لا بد من التوافق بين التعليم والتأهيل والتدريب من جهة، والإبداع والتشجيع والتحفيز والاهتمام من





جهة أخرى، ومن هنا يحصل التآلف والتناغم والانسجام بين الشب
الراغبين في العمل والإبداع وبين الدولة التي تشجّع على البحث العا
وتحفز المبدعين وتقدمهم للناس وللعالم حتى يكونوا رواد أعمال متميز
وبهذا تكون الدولة قد اكتسبت صناعة العقول المكتشفة والمخترعة
اليوم والغد.

وإذا لقي الشباب الحفاوة التي يستحقونها والتشجيع الذي يريد
فإنهم سيُقْدمون على أعمالهم وإبداعاتهم بكل عزيمة وإصرار، ه
الإصرار يشعل المنافسة لدى الشباب بكافة توجهاتهم ويوقد العز
في نفوسهم ويجعلهم مستعدين للعمل من أجل الوطن، وهاهم يحتف
كل مرة بعيدهم ليؤكدوا هذا المعنى الوطني الذي تشرّبوا به بعد
شعروا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم وبعد أن حمّلتهم الدولة ب
الأمة. فشباب اليوم أمام تحدٍّ كبير يحتاج فيه إلى دوافع قوية أه
الإيمان بالله ثم نداء الوطن لكي ينطلقوا في بحور الإبداع وما أكثر
وما على الدولة إلا التشجيع والوقوف سندا قويا بل جنبا إلى جنب ح
تثمر الأعمال عن بناء قوي متماسك يستمر لأجيال وأجيال، وحيث ع
آباؤنا على تحقيق الخطوات الأولى وتوفير الحاجيات، يسعى الشب
اليوم إلى المحافظة على الإرث الغالي ومواصلة العمل على إيجاد
الأفضل بإذن الله وتوفيقه، ومتى توفرت العزيمة والقوة والإصرار وكلها
مقومات يتصف بها الشباب ذكورا وإناثا يتحقق ما لم يكن في الحسبان،
وتمشي الدولة بأمان، وتسري الطمأنينة في قلوب كل المنتمين إليها،
وتعمر البلاد ويسود الأمن والأمان في كل الربوع وتشهد طفرة في
الاقتصاد والعمران، تسر الناظرين وينهمر عليها الخير الوفير والكثير
من رب العالمين، هكذا تريد الدولة أن ترى شبابها في جميع المجالات
مبدعين، وعلى الدرب سائرين، وبعاداتهم متمسكين، وعلى المعرفة
مقبلين فطوبى لدولة عرفت كيف تربي شبابها النيرين الطامحين.

ينبغي أن يوجه الخطاب إلى الشباب عموما وإلى الشباب المبدعين
خصوصا من أجل التغيير باعتبارهم السند الكبير وأصحاب العطاء
والتجديد في كل ميدان من الميادين التي تجلب النفع وتساير الواقع
التقني المتطور وتقضي على كل تردد في النفس التي تقبل على العمل
بشغف وحب وإتقان، وإذا وجد الشباب طريقة للدخول في معترك
الحياة عبر الحوار والنقاش سيبدعون لا محالة لأن المجال فسيح لإفراغ
الطاقات المكبوتة داخلهم، هكذا خلقهم الله سبحانه وتعالى، قدرة
هائلة على الاستجابة في الوقت المناسب لإظهار القدرات والمواهب
والأعمال الناجحة على كل المستويات، وإذا استطاعت أي دولة أن
تتعامل مع الشباب فاعلم أن النجاح حليفها لا محالة، لأنهم يمثلون
القوة الرهيبة في المجتمع فإما أن توجه نحو النفع العام وإما أن تبقى

تعيش المتناقضات في الحياة ويخسر العالم هذه القوة التي تهدر عبثا.
علينا أن نقرأ الشباب قراءة صحيحة واقعية تبين مدى التقارب بين
جيلين من الناس، وتعبر عن الهوية الإسلامية المعتدلة المتوازنة لأن
الشباب كله قوة وفتوة وله من الممارسات ما يجعله قادرا على مواجهة
التحديات الكبيرة والصغيرة في ظل التكتلات الإقليمية والعالمية التي
تعبر عن الحصانة العلمية التي يتمتع بها هؤلاء الشباب على كافة
المستويات وفي جميع المجالات، ومن المهم جدا أن تكون للدولة علاقة
بالمبدعين ترفد إبداعاتهم وتنشر حكاياتهم عبر الأثير وفي الصحف
وعلى شاشات التلفاز وفي مواقع التواصل الاجتماعي حتى يعرفهم
المجتمع ويتفاعل معهم باعتبارهم يمثلون الدولة في الخارج وينافسون
أقرانهم على مستوى العالم وينقلون اكتشافاتهم واختراعاتهم إلى
الآخرين بعد أن تمكنوا من اعتلاء عرش الإبداع عن استحقاق وجدارة.
لذا فإن الشاب يتمتع ويستمتع بابتكاره واختراعه حينما يشاهده
الآخرون وهو يمتلك موهبة من المواهب يعرضها عبر وسائل الإعلام
المختلفة فيلهي نفسه بهذا الحدث الذي كان الإعلام سببا في شهرته
الفائقة، وعندئذ يشعر المبدع أنه شخص مهمّ ترصده آلات التصوير
من هنا وهناك لتأخذ منه تصريحا أو تلميحا، كما أنه يحبّ الحوار
والمناقشة مع من هم في مستواه، وتجده مرتاحا مع أصدقائه يعبّر عن
مكنونه بكل حرية ويثق فيمن حوله لأنهم يمنحونه القوة والعطاء.